مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 11، عدد رقم: 02، جوان 2022، صص: 253- 266

تاريخ الاستلام(2021/11/16)تاريخ القبول (2022/05/22)تاريخ النشر (2022/06/30)

البنيوية بين الدراسات الأنثروبولوجية والدراسات اللغوية- دراسة مقارنة

Structuralism among studies anthropological Study comparative- and studies linguistic-

مصابيح العربي[1]، بن جلول مختار[2]

[1] جامعة ابن خلدون ـ تيارت (الجزائر)، larbi.Messabih@univ-tiaret.dz

[2] جامعة ابن خلدون ـ تيارت (الجزائر)، mokhtar.bendjelloul@univ-tiaret.dz

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى الوقوف على الكيفية التي طبَّق بها كلود ليفي شتراوس مبادئ البنيوية في دراسته للجماعات البشرية، ومقارنتها بالمناهج البنيوية المطبَّقة في الدراسات اللغوية، من خلال تبيان أوجه التشابه والاختلاف بين الدراستين ومدى ملاءمة المنهج البنيوي في دراسة الظاهرتين المدروستين. تكمن أهمية هذا البحث في محاولة الوقوف على أوجه التشابه والاختلاف بين البنيوية الأنثروبولوجية والبنيوية اللغوية. كيف تمكَّن شتراوس من تطبيق مبادئ البنيوية في دراسته للظاهرة الاجتماعية؟. وقد توصَّلت في هذا البحث إلى مدى وعي شتراوس في فك شفرة هذا الرهان الذي كان مستعصيا على سابقيه من خلال مزاوجته بين البنيوية اللغوية والبنيوية الأنثروبولوجية.

كلمات مفتاحية: البنيوية، الدراسات، الأنثروبولوجيا، اللغة، كلود ليفي شتراوس، المقارنة.

Abstract:

This article aims at standing on the similarities and differences between anthropological and linguistic structuralism. Here is Cloud Levi Strauss apply the principles of structuralism in his study of social phenomena?. This research proves to decode this challenge, which was impracticable

المؤلف المرسل: مصابيح العربي، الإيميل: larbi.Messabih@univ-tiaret.dz

for his ancestors through socializing between anthropological and linguistic structuralism.
Keywords: structuralism, studies, anthropology, language, Cloud Levi Strauss, comparison.

مقدمة:

كان لظهور المنهج البنيوي الأثر الكبير في تحوُّل الدراسات اللسانية من الاهتمام بالمؤلف والبيئة التي ينتمي إليها إلى الاهتمام بالنصوص الأدبية والبحث عن العلاقات التي تُؤلِّف بين وحداتها اللغوية، ومع المد الذي عرفه هذا المنهج، وسرعة انتشاره في أوروبا وأمريكا، اقتحمت البنيوية مجالات أخرى بجانب الدرس اللغوي فقط، ومن بين المجالات التي اعتمدت على المنهج البنيوي في الدراسة نجد الأنثروبولوجيا، فقد طبَّق كلود ليفي شتراوس CLAUDE LIVI-STRAUSS، مبادئ هذا المنهج على المجتمعات البدائية في أمريكا الجنوبية.

فالبنيوية منهج نقدي ظهر في العقد الثاني من القرن العشرين على يد العالم السويسري فرديناند دي سوسير، وقد ثارت على الدراسات الأدبية التي كانت سائدة وقتذاك والتي كانت تُعطي السلطة للمؤلِّف على حساب النص، حيث رأى البنيويون أنَّ ذلك يُعدُّ قاصراً عن دراسة النصوص الأدبية، وأنَّ السبيل الوحيد لكشف القيمة الأدبية لهذه النصوص هو دراستها في بنيتها الداخلية وإقصاء كل ما يقع خارج النص، ومن هنا سنعطي تعريفاً موجزاً لمفهوم البنيوية.

وتُعتَبَرُ البنيوية من المناهج التي اقتحمت مجالات عِدَّة ، حيث جذبت أنظار الباحثين على اختلاف تخصُّصاتهم وميولاتهم، فقد طرقت مجالات علمية كانت توصف بأنَّها عصية عن المناهج الأدبية، إذ تبنَّاها علماء الرياضيات والفيزياء والبيولوجيا وغيرهم من العلماء، ومن بين المجالات التي وظَّفت المنهج البنيوي في دراستها توظيفاً منهجيا نجد العلوم الإنسانية سواء اللسانية أو النقدية أو الأدبية، وكذلك الدراسات الأنثروبولوجية، حيث طبَّق كلود ليفي شتراوس المنهج البنيوي في دراسته للمجموعات البشرية البدائية في أمريكا الجنوبية، لتحديد العلاقات التي تربط بين هذه الجماعات فيما بينها، ومن هنا نطرح الإشكالية التالية: كيف استطاع شتراوس توظيف المنهج البنيوي في دراسته للجماعات البشرية؟ وهل وُفِّقَ في ذلك؟ وكيف نظرت البنيوية للدراسات اللغوية؟ وهل يُمكن توظيف البنيوية في الدراستين بنفس الآليات؟ هذه الإشكالية سنحاول الإجابة عنها في هذا البحث، أمَّا المنهج المُتَّبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي، الذي ارتأينا أنَّه يصلح لمثل هكذا دراسات.

كما يهدف هذا البحث إلى إجراء دراسة مقارنة حول البنيوية بين الدراسات اللغوية والدراسات الأنثروبولوجية، وكيف استطاع كلود ليفي شتراوس تطبيق المنهج البنيوي على الجماعات البشرية.

مفهوم البنية في اللغة والاصطلاح:

لم تتبلور البنيوية كمنهج في التحليل اللغوي إلَّا بعد ظهور كتاب **فرديناند دي سوسير** Ferdinand De Saussure" محاضرات في اللسانيات العامة" عام 1916 على يد تلامذته شارل بالي Charles Bally وألبرت سيشهاي Albert Sechehaye بعد وفاة دي سوسير، والذي أصبح أول مصدر للبنيوية في أوروبا، إذ اعتبر دي سوسير أنَّ اللغة نظام، أو نسق من العلاقات تربط بينها تفاعلات وظيفية ووصفية، وتفريقه بين اللغة كظاهرة اجتماعية والكلام كظاهرة فردية، وحدد المنهج العام للبنيوية المتمثل في اللغة والكلام، والمحور الاستبدالي والمحور التركيبي، والدال والمدلول، وكذا تبنيه لمفهومي السانكرونية والدياكرونية، كما بيَّن أنَّ اللغة يجب أن تُدرسَ بمختلف مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وتأكيده على ضرورة دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، وإقصاء كلُّ ما هو خارج عن اللغة.

أ- التعريف اللغوي للبنية La structure:

البنيوية مشتقَّة من لفظ البنية، وقد تعدَّدت التسميات لمصطلح البنيوية، فهناك من يُطلِق عليها لفظ" البنوية " وهناك من يُطلقُ عليها لفظ" البنائية "، إلَّا أنَّ الاسم الشائع والذي يعتمده معظم الباحثين هو مصطلح" البنيوية "، وقد وردت لفظة البنية في المعاجم العربية لتدل على عدة معان:

فقد جاء في معجم تهذيب اللغة **للأزهريّ (ت370هـ)** قوله:" بَنَى البَنَّاء البِنَا بَنْياً، وبِنَاءً والبِنَى، مقصور. والبنية: الكعبة، يقال: لا وربِّ هذه البِنْيَةِ. وقال ثعلب عن ابن الأعرابي: **البِنى:** الأبنية من المدر والصوف... وكذلك: البِنى من الكَرَمِ"[1]. وقال الحطيئة يمدح قوما:

أُولَئِكَ قَوْمِي إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَى وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

وقال غيره: يقال بِنْيَة وبِنَى مثل رِشْوَة ورِشًا، كأنَّ البِنْيَة الهيئة التي بُنوِي عليها، مثل المِشْيَة والرِّكْبَة... ويقالك أبْنَيْتُ فلاناً بيتاً إذا أعطيته بيتاً يبنيه"[2].

وجاء في معجم مقاييس اللغة **لابن فارس** قوله:" **(بنى)** الباء والنون والياء أصلٌ واحدٌ، وهو بناء الشيئ بضَمِّ بعضِه إلى بعض، تقول بَنَيْتُ البناءَ أبنِيه، وتسمَّى مكَّةُ البَنِيَّة، ويقال قوس بَانِيَةٌ، وهي التي بَنَتْ على وَتَرِها، وذلك أَنْ يَكادُ وَتَرُها ينقطع لِلُصُوقِهِ بها...ويقال بُنْيَةٌ وبُنًى، وبِنْيَةٌ وبِنًى بكسر الباء كما يقال: جِزْيَةٌ وجِزىً، ومِشْيَةٌ ومِشىً[3].

وجاء في لسان العرب **لابن منظور** قوله:" **الْبَنْيُ:** نقيض الهدم، بَنَى الْبَنَّاءُ الْبِناءَ بَنْياً وبِناءً وبُنىً مقصور، وبُنْياناً وبِنْيَةً وابْتَناهُ وبَنَّاه...والبناء: المَبْنِيُّ، واجمع أبْنِيَة، وأبْنِيات جمع الجمع، والبِنْيَةُ والبُنْيَةُ ما بَنَيْتَهُ، وهو البِنَى والبُنَى، يقال بِنْيَةٌ وَهِيَ مِثْلُ رِشْوَةٍ ورِشاً، كأنَّ البِنْيَةَ الْهَيْئَةُ الَّتِي بُنِيَ عليها، مِثْلُ المِشْيَةِ والرِّكْبَةِ، يقال: بُنْيَةٌ وبُنىً وبِنْيَةٌ وبِنىً، بكسر الباء مقصور، مثل جِزْيَةٍ وجِزىً"[4].

نلاحظ من خلال ما جاء في المعاجم العربية أنَّ لفظة البنية جاءت مضمومة ومكسورة، وهي تدلُّ على البناء وهو نقيض الهدم، لأنَّ البناء يأتي متراصًّا متماسكاً يشدُّ بَعْضُهُ بعضاً، ومنه سمَوْا اللغة في تعالقها بنية، وهذا لتماسك وترابط وحداتها مع بعضِها البعض، وقد اتَّخذت البنيوية من الوحدات اللغوية الأساس الوحيد في تحليل النصوص وفك شفراتها.

وقد جاء لفظ البناء في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة الصف حيث قال:﴿**إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾[5]، الصَّف:4.

قال الألوسيُّ(ت1270هـ) في تفسيره لهذه الآية:" والمرصوص على ما قال الفرَّاء، ومنذر بن سعيد هو المعقود بالرصاص ويراد به المحكم، وقال المبرِّدُ: رصَصْتُ البناء لاءمت بين أجزائه وقاربتُهُ حتَّى يصير كقطعة واحدة، ومنه الرَّصيص وهو انضمام الأسنان، والظاهر أنَّ المراد تشبيههم في التحام بعضِهم ببعض بالبنيان المرصوص من حيث لا فرجة بينهم ولا خلل"[6].

إذن المراد بالبِنية في اللغة أنَّ النُّصوص في تماسكها كالبناء المتراصّ، يعني ضم وحداتها إلى بعضها البعض حتَّى لا يبقى بينها أيُّ خلل، فهي تعني وجود نسق عام يربط بين هذه العناصر لتكوِّنَ الكل الذي ينتظمها.

ب- التعريف الاصطلاحي للبنية:

البنائية: من البناء، أو البِنْيَة، وبنية الشيء في اللغة العربية هي تكوينه، وهي تعني أيضاً الكيفية التي شُيِّد على نحوها هذا البناء أو ذاك، وحين نتحدث عن البناء الاجتماعي أو بناء الشخصية أو البناء اللغوي فإنَّنا نشير بذلك إلى وجود نسق عام، أهم ما يتَّصِفُ به هو عنصر النظام، فالبناء هم صورة منظَّمة لمجموع من العناصر المتماسكة [7].

فالذي يهم رواد المنهج البنيوي هو البناء الداخلي للنص أو الخطاب بغض النظر عن الجوانب الأخرى سواء كانت هذه الجوانب تاريخية أو اجتماعية أو نفسية، بل الهدف الأساسي عند أصحاب هذا الاتِّجاه هو البحث عن العلاقات الموجودة بين مكوِّنات النَّصِّ، وهذا لا يتأتَّى إلَّا من خلال البنية الداخلية للنص.

وقد ذكر الدكتور **بشير استيتيه** الأساس الذي تقوم عليه البنيوية فقال:" تقوم البنيوية على أساس نظري مؤدَّاه أنَّ البنية تتألَّفُ من عناصر ومكوِّنات جزئية، وأنَّ أيَّ تغيير يطرأ على أيِّ واحدٍ من هذه المكوِّنات، لابدَّ أن يُؤثِّرَ في سائر المكوِّنات والعناصر الأخرى"[8].

وبالرغم من اجماع الباحثين على أنَّ دي سوسير هو الأب الروحي للبنيوية إلَّا أنَّه لم يذكر هذا المصطلح في محاضراته التي كان يلقيها أمام تلامذته، بل كان يستعمل المضمون فقط، يقول الدكتور **بشير استيتيه**:" يُعدُّ العالم السويسري دي سوسير (ت1913م) المؤسس الأول للتوجُّه البنيوي في دراسة اللغة، وعلى الرغم من أنَّه لم يستعمل كلمة البنية أو البنيوية في محاضراته التي

نشِرت بعد وفاته، فإنَّ مضمون البنيوية يُفْصِحُ عن نفسه، فيما أودعه سوسير من نظرات في تفسير الظواهر اللغوية، لم يستعمل سوسير هذا المصطلح كما قلنا، ولكنَّه تحدَّث عن مضمونه، وأول مرة استعمل فيها هذا المصطلح كانت في البيان الذي أعلنه المؤتمر الأول للغويين السلاف سنة 1929. فقد ورد فيه مصطلح البنية بمضمونه المعروف حتى اليوم وكان من المشاركين في هذا المؤتمر ياكوبسون وتروبتسكوي، وقد دعا المؤتمر إلى تبنِّي منهج جديد في دراسة اللغة سمَّوْه المنهج البنيوي"[9].

نخلص من هذا النص أنَّ مفهوم البنية أو البنيوية لم يتبلور مع دي سوسير، وإنَّما ظهر هذا المصطلح بعده، خاصة مع الانتشار الواسع لمحاضراته التي نشرها تلامذته من بعده، والإقبال الكبير للدارسين عليها، لكن المضمون كان موجوداً.

كما عرَّفَ الدكتور عدنان حسين قاسم البنيوية بقوله:" البنيوية Structuralisme مصطلح يعني الكيفية التي شُيِّد عليها بناءٌ ما أو الكيفية التي تنتظم بها عناصر مجموعة ما، أو مجموعة العناصر المتماسكة فيما بينها، بحيث يتوقف كل عنصر على باقي العناصر الأخرى فيتحدد هذا العنصر بعلاقته بتلك العناصر، فالبنية Structure هي مجموع العلاقات الداخلية الثابتة التي تميز مجموعة ما بحيث تكون أسبقية منطقية للكل على الأجزاء، أي أنَّ أي عنصر من البنية لا يتخذ معناه إلَّا بالوضع الذي يحتله داخل المجموعة، وعلى ذلك فإن البنيوية منهج في البحث والدراسة وليست مذهبا فلسفيا كما ذهب إلى ذلك ليفي شتراوس، لأنها تتوجه بمباضعها نحو النص لتشريحه والوقوف على عناصره، ودراسة العلاقات بينها لفهم بنيتها"[10].

إذن فالبنيوية وفق هذا المنظور تعني الكيفية التي يُشيَّد بها النص، والطريقة التي تنتظم بها عناصره الداخلية، أو مجموعة العناصر المتماسكة فيما بينها، بحيث لا تظهر قيمة أي عنصر من عناصر النَّصِّ إلَّا من خلال علاقته بالعناصر الأخرى السابقة واللاحقة، ليُصبح النصُّ بناءً مترابطًا متماسكًا تنتظم أجزاؤه فيما بينها لِتُكوِّنَ وحدة تامَّة، إذ تُعتبر الوحدات اللغوية بمثابة اللَّبِنات التي يتكوَّن منها النص أو الخطاب، وهذه اللَّبِنات متماسكة ومتراصَّة فيما بينها تماماً كتراص لبِنات البناء الحسِّي.

والبنيوية كما يقول الدكتور عبد الله الغذامي" مدٌّ مباشرٌ من الألسنية (Linguistics) ويقف السويسري دي سوسير على صدارة هذا التوجه النقدي، وذلك منذ أن أخذ بتعريف اللغة على أنها نظام من الإشارات (Signs)، وهذه الإشارات هي أصوات تصدر من الإنسان، ولا تكون بذات قيمة إلا إذا كان للتعبير عن فكرة أو توصيلها"[11].

أمَّا جان بياجيه فيعتبر البنية أنَّها نسق من التحولات يحتوي على قوانينهِ الخاصةِ، علمًا بأنَّ من شأنِ هذا النسقِ أن يظلَّ قائمًا بذاته دون أن يستعين بعناصر خارجية، ودون أن يكونَ من

شأنِ هذه التحولات أن تخرجَ عن حدودِ ذلك النسقِ، أو أن تستعينَ بعناصرَ خارجية، وبإيجاز فالبنيةُ تتألفُ من ثلاثِ خصائصَ: هي الكليةُ والتحولاتُ والضبط الذاتي، كما أنَّ البنية تكتفي بذاتها ولا تتطلب لإدراكها اللجوء إلى عناصر أخرى غريبة عنها [12].

فالبنيوية من منظور جان بياجيه هي عبارة عن نسق من التحولات، وهذا النسق يجعل البنية مكتفية بذاتها ولا نحتاج لإدراكها إلى اللجوء إلى عناصر أخرى من خارجها، لأنَّها تعتمد على عناصرها الداخلية المكوِّنة لها.

أولا- البنيوية اللغوية:

البنيوية اللغوية تعني دراسة اللغة بمختلف مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبة والدلالية، وإقصاء كلُّ ما هو خارج عن اللغة، ومعنى ذلك أنَّ تحليل أيُّ نصٍّ لغويٍّ في إطار المنهج البنيوي يعتمد على مبدأين اثنين: الأول: استقلالية النص عن أية ملابسات خارجية، والثاني: هو تشابك وحداته اللغوية وترابطها فيما بينها داخليا، ومن هذا المنطلق يرى الدكتور عبد الوهاب جعفر أنَّ التحليل البنيوي قد انتقل من دراسة ظواهر لغوية واعية إلى دراسة بنيتها الداخلية اللاواعية، حيث قال:" إنَّ موضوع علم اللغة هو الانتقال من دراسة الظواهر اللغوية الشعورية إلى(بنائها التحتي) اللاشعوري، وينصُّ منهج علم اللغة على أنَّ الإشارة اللغوية ليست وسيطاً بين الشيئ والتعبير عنه، بل إنَّها تُنْشئ علاقة بين مدلول signifié(هو ما يريده المتحدِّث، أو الرسالة المراد تبليغها) وبين رمز دال signifiant (هو الوسيلة الصوتية الشفهية أو المحررة كتابة والتي يجب أن يمتلكها نفس هذا المتحدث لكي يكون مفهوماً لمستمعيه) وبعبارة أخرى فإنَّ موضوع علم اللغة هو نسق من الرموزsystème de signes الذي ينشأ عن حتمية الاتصال بين فئتي الدال والمدلول، على اعتبار أنَّ الأولى صوتية sonore أمَّا الثانية فهي تصورية conceptuel"[13].

فالمنهج البنيوي يأخذ اللغة على أنَّها بناء، وحداته متماسكة فيما بينها ذات الاستقلال الداخلي والتي تتحدد قيمتها بعلاقاتها الداخلية فيما بينها، بغضِّ النظر عن العناصر الخارجية التي يرى أصحاب الاتجاه البنيوي أنَّها ليست من النظام اللغوي للنص أو الخطاب، والتحليل البنيوي للنص ينبثق من النص نفسه وعلى الباحث أن يقصر بحثه على العلاقات القائمة بين عناصر النص ببعضها البعض ووظائفها دون أن يتجاوز في تحليله للنص إلى أيِّ موضع آخر.

وبما أنَّ البنية هي نسق أو مجموعة من الأنساق، فهي تكوِّن نظاما يتَّصف بالكلية والضبط، وقد وصفها الباحثون على انَّها نظام يشتغل حسب مجموعة من القواعد المضبوطة، واشتغالها هذا يحفظها من التلف ويضمن لها التطور، ويُغنيها عن الاحتياج على الاستعانة بعناصر خارجية، فهي منغلقة على نفسها ومكتفية بالعناصر المكونة لها، واللغة ليست مجرد لائحة من المفردات، بل هي بالأساس كل العلاقات التي تربط بين هذه المفردات بمختلف مستوياتها، وعلى

هذا الأساس تكون البنية هي مجموع العلاقات التي يربط بين جميع العناصر المؤلّفة للبنية نفسها، هدفها الكشف عن قواعد هذا النظام اللغوي المتماسك[14].

ثانيا- البنيوية الأنثروبولوجية:

تُعرَفُ الأنثروبولوجيا بأنَّها العلم الذي يدرس المجتمعات البشرية في تاريخها وأعرافها وعاداتها وتقاليدها واجتماعها فهي تُعرف باسم:" anthropologie: مؤلفة من الكلمة اليونانية anthropus (الإنسان) ومن logos (علم) وتعني علم الإنسان، وعرَّفها ليتريه بأنها تاريخ الإنسان الطبيعي، وكذلك عرفها لاروس، وهي بحسب كانط والفلاسفة الألمان اسم يطلق على جميع العلوم المتعلقة بجانب من جوانب الحياة البشرية: الروح والجسد، الفرد والنوع، الوقائع التاريخية، ظاهرات الإدراك، قوائم علم الأخلاق، المصالح المادية..."[15].

ويُعتبر كلود ليفي شتراوس رائد البنيوية الأنثروبولوجية بلا منازع، لأنَّه وظَّف المنهج البنيوي لدراسة تطوُّر الشعوب فقد جاء في كتاب البنيوية والأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها لعبد الوهاب جعفر قوله: " إذا فحصنا مجتمعاً سياسياً معيناً فإن هذه العناصر البنائية تظهر في تنظيم معين هو الذي نطلق عليه لفظ النسق système، ففكرة النسق ليست مساوية إذن لفكرة البناء، إذ هي تعني فقط طريقة التنظيم manière d'organisation، وحسب هذا السياق نجد أن ثبات واستمرار البناء ليس إلا نسبيا، بمعنى أن العناصر التي تكونه والعلاقات المتبادلة بينها ليست ثابتة statique، فتحت تأثير عوامل عديدة داخلية وخارجية نجد أنه في حركة دائمة، فالأرض مثلا ثابتة فيزيقيا ومتغيرة إنسانيا واجتماعيا بطرق عديدة ولهذا كانت دراسة البناء حسب هذا المفهوم ديناميكية دائما"[16].

أمَّا فيما يخص البنية اللغوية فيُعرِّفها جون ليونز (1932) J.Lyons " بأنها نسقٌ من العلاقات أو مجموعة من الأنساق يرتبط بعضها ببعض، وحيث إن العناصر من أصوات وكلمات، ليس لها أية قيمة باستقلالها عن علاقات التكافؤ والتقابل التي تربط بعضها ببعض"[17].

نستنتج من خلال هذين النَّصَّيْن أنَّ المجتمعات البشرية عبارة عن نسق من الأنظمة، وهذا النسق ليس مساويا للبناء لأنَّ مهمة البناء تقتصر فقط على التنظيم، بينما النسق هو الذي يضبط العلاقات التي تتميَّز بها المجموعات البشرية لأنَّ هذه المجموعات البشرية تربطها علاقات مختلفة، وهذه العلاقات تحتاج إلى تنظيم محكم حتى تُبنى هذه المجتمعات بناءً محكماً والأمر نفسه ينطبق على الأنظمة اللغوية، فهي عبارة عن نسق من العلاقات، وهذه العناصر من الأصوات والكلمات لا تملك أية قيمة باستقلالها عن بقية العناصر الأخرى في النظام اللغوي الذي يحتويها.

يقول شتراوس في هذا الشأن:" إن الأنثروبولوجي يكشف في المجتمع عن مجموعة بناءات تنتمي إلى أنماط مختلفة فنسق القرابة يعتبر وسيلة لتنظيم الأفراد حسب قواعد معينة، أما التنظيم الاجتماعي فإنه يأتي بقواعد أخرى، وكذلك كان التسلسل الطبقي أو التفاوت الاقتصادي فإنه يمدنا أيضا بقواعده الخاصة، وكل هذه البناءات المنظمة يمكن أن تنظم بشرط الكشف عن العلاقات التي تربطها وهي على أي حال تؤثر في بعضها البعض"[18].

فالعالِمُ الأنثروبولوجي مهمته هي الكشف عن البنيات التي تُنظِّم المجتمع، شأنه شأن العالم اللغوي الذي تتمثَّل مهمَّته في الكشف عن الأبنية التي تُشكِّل النَّصَّ/الخطاب اللغوي، والبحث عن العلاقات التي تجعل هذه الأبنية متماسكة فيما بينها، لأنَّ أي خطاب لغوي هو مُشكَّل من وحدات لغوية تربط بينها علاقات، وهذه العلاقات هي التي تضمن للخطاب تنظيمه الداخلي، وهو الأمر نفسه نجده في الأنثروبولوجيا البنيوية التي تبحث عن العلاقات التي تربط بين المجموعات البشرية وتضمن لها تنظيمها الداخلي.

يقول ليفي شتراوس:" لقد انعدمت الحاجة، منذ شرادر، إلى البرهان على المساعدة التي يستطيع علم اللغة تقديمها إلى عالم الاجتماع في دراسة مسائل القرابة...يقدم العالم اللغوي إلى العالم الاجتماعي أصول كلمات تتيح إقامة علاقات بين بعض ألفاظ القرابة، لم تكن مُدركة إدراكا مباشرا، ويستطيع عالم الاجتماع، بالعكس اطلاع العالم اللغوي على العادات والقواعد الوضعية والنواهي التي توضح باستمرار بعض سمات اللغة، أو تبدل بعض الألفاظ أو مجموعات الألفاظ"[19].

علاوة على ذلك نجد أنَّ ليفي شتراوس يُساوي بين حدود القرابة والوحدات الصوتية، فكلاهما تحمل في طياتها دلالة معينة، يقول ليفي شتراوس في هذا الشأن:" إن حدود القرابة، شأنها شأن الوحدات الصوتية، هي عناصر ذات دلالة، وهي مثلها، لا تكتسب هذه الدلالة ما لم تندمج في أنظمة، ثم إن أنظمة القرابة مثل الأنظمة الفونولوجية، يعدها العقل على مستوى الفكر غير الواعي، وأخيرا، إن معاودة بعض أشكال القرابة، وقواعد الزواج، والمواقف المفروضة بين بعض نماذج الأقارب...يحمل على الظن بأن الظاهرات التي تتسنى ملاحظتها، في الحالتين- أي حدود القرابة والوحدات الصوتية- على السواء، تنتج عن قوانين عامة"[20].

من خلال هذا النَّصِّ نستنتج أنَّ شتراوس يرى وجود تشابهاً تامًّا بين أنظمة القرابة والوحدات الصوتية ذلك أنَّ الوحدات الصوتية لا تمتلك أية دلالة ما لم توضع في سياق مع الوحدات التي قبلها والتي بعدها، ونفس الشيء بالنسبة لحدود القرابة، إذ هي لا تمتلك أية دلالة ما لم توضع في سياق علاقاتها مع غيرها من حدود القرابة التي تُميِّز المجتمع البشري وهو ما قصده

شتراوس بقوله تنتج عن قوانين عامة، أي هناك قوانين عامة تحكم الوحدات الصوتية وحدود القرابة.

بل ذهب شتراوس إلى أبعد من ذلك حين وصف حدود القرابة بأنَّه من نفس نظام الظواهر اللغوية بقوله:" إن ظاهرات القرابة، في نظام واقعي آخر، هي من طراز الظاهرات اللغوية ذاته...سنشعر أننا أكثر استعداداً للسير في هذا الاتجاه عندما نكون قد تبينا أمرا آخر، هو أن دراسة مسائل القرابة تظهر اليوم بعبارات علم اللغة ذاتها، وتواجه على ما يبدو، الصعوبات نفسها التي واجهها هذا العلم في ذلك الحين"[21].

فرغم انتماء كلُّ ظاهرة من هذه الظواهر إلى مجال معيَّن لا تنتمي إليه الظاهرة الأخرى، إلَّا أنَّه يجمعهما قاسم مشترك، ألا وهو النسق الذي يُميِّز كلتا الظاهرتين، وكذلك نفس المنهج في الدراسة، لأنَّ هذه الأنساق كلها متشابهة عند شتراوس، وتحكمها نفس القوانين والبحث عن هذه القوانين التي تحكمها هي مهمة الباحث.

المقارنة بين البنيويتين:

من خلال المقارنة بين البنيوية اللغوية والبنيوية الأنثروبولوجية نلاحظ أنَّ البنيويتين لهما أوجه تشابه وأوجه اختلاف فأوجه التشابه تتمثَّل في أنَّ كلاهما تبحث عن العلاقات التي تربط بين عناصر الظاهرة المدروسة، وهذه العلاقات تنبع من داخل الظاهرة نفسها وليس من خارجها، أمَّا أوجه الاختلاف فتتمثَّل في كون البنيوية الأنثروبولوجية تبحث عن العلاقات التي تربط بين الجماعات البشرية وتماسكها فيما بينها، في حين أنَّ البنيوية اللغوية تبحث عن العلاقات التي تربط بين الوحدات اللغوية، الكلمات والجمل التي تُشكِّل الخطاب اللغوي، أو بعبارة موجزة، البنيوية الأنثروبولوجية تدرس ظاهرة محسوسة بينما تدرس البنيوية اللغوية ظاهرة معنوية، إلَّا أنَّ هدف الدراستين واحد، ألا وهو البحث عن البنية التي تحكم الظاهرة المعنية بالدراسة.

لأنَّ" البنائيين في دراستهم للظواهر البشرية وغير البشرية لا يتوقفون عند المعنى التجريبي الذي يضعه الواقع بين أيديهم- على نحو مباشر- بل إلى الكشف عن «النسق العقلي» أو «القانون» الذي يختبئ خلف الظواهر المحسوسة، وهم في هذا يخالفون ما درج عليه الاجتماعيون قبلهم من النظر إلى نسق العلاقات والتفاعلات الاجتماعية الظاهرة باعتبارها كافية بذاتها"[22].

وبخصوص العلاقات التي تنشأ بين الظواهر المدروسة يقول عبد الوهاب جعفر:" إذا انتقلنا إلى علم اللغة البنائي فإننا نلاحظ أنه يحتل مكان الصدارة بالنسبة لجميع الأبحاث البنائية، ذلك أنه إذا صح أن الأفراد في جميع المجتمعات يمارسون علاقات تبادل، فإن تبادل الإشارات اللغوية هو أكثر هذه العلاقات عمومية، حتى أن ما عداها من علاقات التبادل مثل

تبادل المتاع والتبادل الاقتصادي وتبادل النساء لا بد وأن يُترجم مباشرة أو بطريق غير مباشر إلى تبادل لغوي، ولذا كان هذا الأخير بمثابة المدخل المفصل لكل دراسة اجتماعية"[23].

فعلاقات التبادل الاقتصادية وتبادل الأغراض وعلاقات الزواج في المجتمعات البشرية كلُّها تشبه إلى حد بعيد علاقات العناصر اللغوية فيما بينها، حيث تحظى الألفاظ والعلاقة بين الألفاظ بأهمية كبيرة، وهو نفس الشيء الذي تحظى به العلاقات بين أفراد المجتمع بأهمية كبيرة لمعرفة البناء الذي يتميَّز به المجتمع.

بين ألفاظ القرابة وألفاظ اللغة:

يقول شتراوس بخصوص أوجه التشابه بين مفردات اللغة وألفاظ القرابة:" ليس لألفاظ القرابة وجود سيكولوجي فحسب: بل هي أيضا من عناصر الكلام، وعندما يسارع بعضهم إلى نقل مناهج تحليل العالم اللغوي إليها، يجب ألَّا ينسوا

أنها باعتبارها تشكل قسما من مفردات اللغة، تتعلق بهذه المناهج تعلقا مباشرا وليس قياسيا، وعليه، فإن علم اللغة يعلم على الأصح أن التحليل الفونولوجي لا يُؤثر في الكلمات تأثيرا مباشرا، بل يقتصر تأثيره على الكلمات المفصولة من قبل في وحدات صوتية"[24].

بمقارنة بسيطة بين النظامين الذين ذكرهما شتراوس ألا وهما نظام القرابة ونظام اللغة نلاحظ أنَّه يضعهما في نفس المستوى، بل ويجعل نظام القرابة من عناصر الكلام نفسه، وأنَّ مناهج التحليل اللغوي تصلح لتحليل ألفاظ القرابة، فكما أنَّ التحليل الفونولوجي لا يُؤثِّرُ في الكلمات مفصولة عن سياقها الذي ترد فيه من خلال علاقاتها مع الكلمات السابقة عليها واللاحقة بها، فكذلك هذه المناهج تبحث في العلاقات التي بين ألفاظ القرابة باعتبارها من نفس عناصر الكلام.

العلاقة بين عناصر المجتمع البشري وعناصر الكلام اللغوي:

ومن خلال دراسته للمجتمعات البدائية في البرازيل استطاع شتراوس" أن يكشف النظام الذي يخضع له موضوع «القرابة»، فقد جعل مجموعة القواعد التي على أساسها يتم تداول النساء (أي الزواج في نظام القبائل) في موضوع القرابة مناظرا لموضوع اللغة، ولعلَّ الجامع بينهما في منظور كلود ليفي ستروس هو الشروط والقوانين، إذ جعل النساء تناظر «الكلام»"[25].

بل يذهب شتراوس أبعد من ذلك، عندما اعتبر الجامع بين النساء في نظام القرابة والكلام في النظام اللغوي، أنَّ كلًّا من النساء والكلام يُمثِّل التجسيد الفعلي والواقعي للشروط والقواعد السالفة الذكر التي تحكم كل من نظام اللغة ونظام القرابة، فإذا كان الكلام من المنظور اللساني يمثل إحدى الإمكانات والاحتمالات لتنفيذ شروط اللغة وقوانينها، فإنَّ النِّساء

في متصوُّر ليفي ستروس تُمثِّل الاحتمالات والممكنات المتوافرة لتطبيق شروط القرابة في المجتمعات البدائية موضوع الدراسة عنده وقد قادته هذه الفرضية إلى نتائج مهمة أبرزها: أنَّ منع الزواج من المحرمات في المجتمعات البدائية يحتكم أساسا إلى أمر اجتماعي كلّي، ليس له علاقة بالشيء المحرَّم، وإنَّما هو سلوك يُحقِّق معنى التبادل بين أفراد المجتمع الواحد، مما يُؤدي في نهاية المطاف إلى تشكيل مجتمع أكبر من محيط العائلة الواحدة، ومعنى هذا أنَّه لو اقتصر الزواج بين أفراد العائلة الواحدة خارج إطار التبادل لما تحقَّق مفهوم المجتمع في المجتمع البشري، والأمر نفسه ينطبق على النظام اللغوي، إذ لو اقتصر الأمر على ألفاظ من نفس العائلة لما تحقَّق كل هذا الثراء اللغوي [26].

أي أنَّ النساء في المجتمع البشري عبارة عن عناصر تُشبه عناصر الكلام من منظور ليفي شتراوس، وهذه العناصر إذا لم يجمع بينها نسق أو نظام عام، تفقد صفة البناء، ومن هنا نستنتج أنَّ شتراوس جعل النِّساء تُمثِّل التجسيد الفعلي لتطبيق شروط نظام القبيلة تماماً كما أنَّ الكلام يُمثِّل الإنجاز الفعلي للغة، وبذلك نستنتج أنَّ النسق الذي يُنظِّم العلاقات في المجموعات البشرية يُشبه تماماً النسق الذي يربط بين الوحدات اللغوية عند ليفي شتراوس، وهو ما يجعل تماسك أفراد المجتمع البشري يُشبه تماسك العناصر اللغوية فيما بينها.

الخاتمة:

وكخاتمة لهذا البحث توصَّلنا إلى بعض النتائج نوجزها كالتالي:

- تُعتبر البنيوية من المناهج التي اقتحمت عدَّة مجالات، وجذبت أنظار الباحثين على اختلاف تخصُّصاتهم.

- البنيوية مشتقَّة من لفظ البناء الذي يعني تماسك لبناته وتعالقها بعها بعضها البعض.

- البنيوية في الدراسات اللغوية والنقدية يُقصد بها ذلك النسق أو البناء الداخلي للنَّصِّ أو الخطاب الذي يجعله كأنَّه بناء واحد متكامل، أو هو مجموعة العناصر المتماسكة فيما بينها، بحيث يتوقَّف كلُّ عنصر على بقية العناصر الأخرى.

- لم تقتصر البنيوية على الدراسات اللغوية فحسب، بل اقتحمت ميادين أخرى من بينها الأنثروبولوجيا.

- يرى كلود ليفي شتراوس أنَّ العلاقات التي تربط أفراد المجتمع البشري تُشبه تماماً العلاقات التي تربط بين الوحدات اللغوية.

- المناهج التي تُدرس بها المجموعات البشرية هي نفس المناهج التي تُدرس بها اللغة من منظور الأنثروبولوجيا البنيوية.

- النظام الذي يخضع له موضوع «القرابة» في الجماعات البشرية مناظراً لموضوع نظام اللغة.

مراجع البحث وإحالاته:

1-الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد): تهذيب اللغة، تق، فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربين بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ-2001م، ج15، ص: 352-353.

2-المصدر نفسه: ص: 353.

3- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ-1979م، ج1، كتاب الباء، ص: 303.

4-ابن منظور: ابن منظور: لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت، لسان العرب، ص: 365.

الصف: 4. 5-

6-الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطباعة المنيرية دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، دت، ج28، ص: 84.

7-ينظر عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1989، ص: 2.

8-بشير شريف استيتيه: اللسانيات، المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط2، 1429هـ-2008م، ص: 161.

-المرجع نفسه: ص: 9161

10-عدنان حسين قاسم: الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، مدينة نصر، مصر، دط، 1421هـ-2001م، ص: 14.

11-عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1998، ط4، ص: 31.

12-ينظر: جان بياجيه، البنيوية، تر، عارف منيمنة، وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط4، 1985، ص: 8.

13-عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكوه، دار المعارف، مصر، دط، 1998 ص: 4.

14-ينظر عبد العزيز حليلي: اللسانيات العامة واللسانيات العربية، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991، ص: 10.

15-كلود ليفي ستروس: الأنثروبولوجيا البنيوية، تر، مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، دط، 1977، ص: 8.

-عبد الوهاب جعفر: البنيوية والأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، ص: 43-.44 16

17-مصطفى غلفان: اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص: 179.

-المرجع السابق: ص: 51 18.

-كلود ليفي ستروس: الأنثروبولوجيا البنيوية، ص: 50 19.

-المرجع نفسه: ص: 53 20.

-المرجع نفسه: ص: 53 21.

22-عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو، ص: 2-3.

-المرجع نفسه: ص: 4 23.

-كلود ليفي ستروس: الأنثروبولوجيا البنيوية، ص: 56 24.

25-حكيم دهيمي: أسس النظرية البنيوية في النقد العربي الحديث، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب العربي، تخصص: نقد معاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية، 2011-2012، ص: 99.

-ينظر: المرجع نفسه، ص: 100 26.

مصادرومراجع البحث:

القرآن الكريم.

1-الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد): تهذيب اللغة، تق، فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربين بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ-2001م، ج15.

2-الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطباعة المنيرية دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، دت، ج28.

3-بشير شريف استيتيه: اللسانيات، المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط2، 1429هـ-2008م.

4-جان بياجيه، البنيوية، تر، عارف منيمنة، وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط4، 1985.

5-حكيم دهيمي: أسس النظرية البنيوية في النقد العربي الحديث، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب العربي، تخصص: نقد معاصر، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، باتنة، السنة الجامعية، 2011-2012.

6-عبد العزيز حليلي: اللسانيات العامة واللسانيات العربية، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991.

7-عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1998، ط4.

8-عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1989.

9-عدنان حسين قاسم: الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، مدينة نصر، مصر، دط، 1421هـ-2001.

10-ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا): معجم مقاييس اللغة، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1399هـ-1979م، ج1، كتاب الباء.

11-كلود ليفي ستروس: الأنثروبولوجيا البنيوية، تر، مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، دط، 1977.

12-مصطفى غلفان: اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

13-ابن منظور: لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت، ج10.